ISSN 1016 - 4030

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

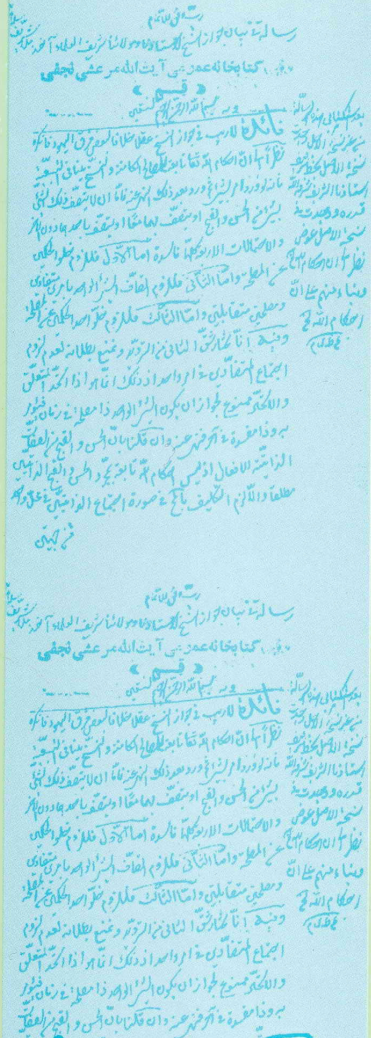

العدد الرابع [١٣٢]

السنة الثالثة والثلاثون / شوّال ـ ذو الحجّة ١٤٣٨ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

* الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والباحثين والمعنيّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .
* الآراء المنشورة لا تعبِّر عن رأي النشرة بالضرورة .
* ترتيب المواضيع يخضع لأُمور فنّية وليس لأيّ أمر آخر .
* النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها أو بإعادته إلى أصحابه .

المراسلات تعنون باسم : هيئة التحرير .
دورشهر ـ خيابان شهيد فاطمي ـ كوچه ٩ ـ پلاك ١ و ٣
هاتف : ٥ ـ ٣٧٧٣٠٠٠١ ـ فاكس : ٣٧٧٣٠٠٢٠ .
البريد الألكتروني : *e-mail : turathona@rafed.net*
ص . ب . ٩٩٦ / ٣٧١٥٦٥٣٧٧١ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران .

تراثنا .
العدد : الرابع [١٣٢] السنة الثالثة والثلاثون / شوّال ـ ذو الحجّة ١٤٣٨ هـ .
الإعداد والنشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
الكمّيّة : ٢٠٠٠ نسخة .
الفلم والألواح الحسّاسة : تيزهوش ـ قم .
المطبعة : الوفاء ـ قم .
الاشتراك السنوي : ٢٠٠٠ تومان في إيران ، و ٢٥ دولاراً أمريكياً في بقيّة أنحاء العالم .

الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء قدس سره
وجهوده الأدبيّة والنقديّة

د. حسين لفته حافظ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمّد الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين وبعد ...

فقد خلّف الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله تراثاً أدبيّاً واسعاً، ترك بصمته الواضحة في مسيرة الأدب العربي، وقد تنوّع هذا التراث الأدبي، ليشمل فنّ الشعر متمثّلا بالمراثي الحزينة التي كتبها الإمام بحقّ أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن فنّ الخطابة ذلك الفنّ الرفيع الذي أجاد فيه الإمام كاشف الغطاء أيّما إجادة، فضلاً عن اختيارات الشيخ الأدبية، فقد برع في فنّ الاختيارات ليترك لنا أثراً أدبيّاً مهمّاً تمثّل بـ: (**مختار كتاب الأغاني**) إذ ركّز فيه على الأدب الشيعي متمثّلاً بأشهر أعلامه من شعراء المذهب الأمامي (**دعبل الخزاعي**) و(**الكميت بن زيد الأسدي**) وسواهم، وكذلك ناقش

البحث فنّ المقالة عند الشيخ الإمام كاشف الغطاء ، فقد كتب عدّة مقالات وقد نشرت أغلب هذه المقالات في مجلّات متعدّدة ، منها **مجلّة البيان ومجلّة العدل ومجلّة الغري ومجلّة الاعتدال** وغيرها من المجلّات والصحف التي كانت تصدر آنذاك ، فضلاً عن الجهود النقدية التي تمثّلت بملاحظاته النقدية التي انتشرت في طيّات كتبه ومنها كتابه (**العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية**)[١] ، و(**المراجعات الريحانية**) ، فضلاً عن **ديوان شعره** .

أمّا عن منهج الدراسة فقد اتبعت فيه المنهج التحليلي الفنّي ، الذي حاول رصد جهود الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء الأدبية والنقدية وتحليلها فنّيّاً من خلال ربط السابق باللاحق لكي يقف القارئ على الإسهامات والإضافات المعرفية التي جاء بها ، أمّا عن الصعوبات التي واجهت الباحث فقد تمثّلت في أنّ أكثر نتاج الشيخ محمّد حسين كان مخطوطاً فضلاً عن تنوّعه وكثرته ، أمّا عن مصادر الدراسة فقد تنوّعت هذه المصادر لتشمل كتب الحديث والسيرة والأدب والتاريخ والنقد والمعاجم والدواوين الشعرية ، والمباحث الآتية تكشف عن طبيعة الدراسة .

---

(١) الكتاب يقع في جزأين ، حقّق الجزء الأوّل منه الدكتور جودت القزويني ، أمّا الجزء الثاني فقد قام بتحقيقه لجنة التحقيق في مكتبة الإمام كاشف الغطاء وعلى رأسهم حفيده الشيخ أمير شريف محمّد الحسين كاشف الغطاء ، وقد استطعت من خلاله الاطّلاع على هذا الجزء والاستفادة منه في موضوع بحثي .

المبحث الأول

خطب الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

يرىٰ أغلب الباحثين أنّ الخطابة أخذت تتطوّر وتنتعش منذ أواخر القرن الماضي، ويعدّ عصر الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء من العصور التي تفنّن فيها الخطباء، وذلك طبيعي في مثل هذه النهضة الجديدة التي كثرت فيها الجمعيّات والأحزاب وتطوّرت فيها الحياة السياسية والاجتماعية، وفتحت أبواب شتّىٰ لمخاطبة الجمهور، ونشأت في الأقطار العربية المختلفة ضروب من الخطب لم يعنىٰ فيها القدماء[1]، وهي عادة من الأسلوب السهل المرسل، علىٰ أنّه يمتاز عن الأسلوب الكتابي السائد في المقالات والمؤلّفات بما يكثر فيه من صنع المخاطبة والاستفهام والإيهام والتكرير والتعجّب والقسم وتقطيع العبارات تقطيعاً يناسب نبرات المتكلّم وإشاراته، مع الإكثار من الشواهد الموضّحة والعبر المؤثّرة وهو ما يتلائم وخطب الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، فقد عرف الشيخ أنّ للخطابة دوراً هامّاً في حركة الكلمة في العقل وفي القلب وفي الواقع من خلال تأثيرها الإيجابي علىٰ قناعات الناس في مختلف جوانب الفكر والحياة، حتّىٰ استطاع الشيخ رحمه الله أن يعيد إليها الروح، فقد اهتم بالأسلوب الجميل والتعبير بالكلمة الطيّبة والقول الحسن.

---

(١) ينظر الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث: ٤٥٨.

لقد امتلك الشيخ محمّد حسين قوّة الخطابة والشاعرية وهما صنوان في قوّة الحسّ وجيشان العاطفة وسرعة البديهة[١]، وقد اعتمد الشيخ علىٰ تقنيّات خاصّة في خطبه منها توازن الجمل وطريقة إلقائها، والإيجاز الذي يعطيك ألفاظاً قليلة ومعاني كثيرة.

لقد امتلك الشيخ أسلوباً مشرقاً في الخطابة اذ امتلأ بعناصر الأدب الرفيع ونصاعة البيان واللباقة المدهشة فلا عجب في ذلك فهو: «أشعر الشعراء وأخطب الخطباء، ربّ الفصاحة والبلاغة... زعيم النهضة العلمية والأدبية في العراق»[٢].

ورأىٰ بعض الدارسين أنّ كتابات الشيخ تجمع بين الأدب والسياسة والاجتماع، وهي صفات يندر أن نجدها في رجال الدين، فصرنا نسمع علىٰ لسانه نغمات الحرّية، والوطنية والشعب والاستقلال... وموضوعات مقتنصة من مناسبات مختلفة ليتّخذ منها عنواناً للتعبير عن رأىٰ أو مناقشة ظاهرة من

---

(١) ينظر معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام: ١٠٤٨، كتب الكثيرون عن شخصيته الفذّة ومنهم الشيخ الكاظمي (ت١٣٩١هـ) في قوله: «العلّامة الكبير، والعلم الشهير، والفقيه النحرير، والمتكلّم الخبير، الشيخ محمّد حسين بن الشيخ علي كاشف الغطاء النجفي قدس سرّهما...، وكان رحمه الله مخلص الطويّة، دمث الأخلاق، ليّن العريكة، صادق النيّة، خطّ علىٰ صفحات القلوب، ورسم علىٰ صحف الجنان (حبّ الوطن من الإيمان) وكان رحمه الله بعيداً عن التعصّب، كارهاً للتملّق والرياء، كثير الحياء، لطيف المعاشرة، حسن المحاضرة» ينظر: فهرس التراث: ٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) أحسن الأثر: ٢٠.

مظاهر المجتمع الكبير[١]، يقول علي الخاقاني صاحب مجلّة البيان: «بأنّ له شخصيّة فذّة يصعب علىٰ الزمن أن يأتي بمثلها، فقد جمعت كثيراً من النواحي التي عزّ أن تجتمع في فقيه أو في زعيم ديني»[٢].

إذاً الشيخ محمّد حسين له قدرة خطابية فائقة عزيزة النظير، واطلاع واسع ودقيق في الآداب واللغة، فكتب ردوداً علىٰ فحولها المعاصرين له، مثل الريحاني، والأب إنستاس الكرملي، وجرجي زيدان وغيرهم[٣].

---

(١) ينظر أساليب المقالة وتطوّرها: ٣٠.

(٢) شعراء الغري: ٨ / ١١٥.

(٣) ينظر معجم مؤرّخي الشيعة: ١٧٨.

المبحث الثاني

شاعرية الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاءﷺ

برع الشيخ في نظم الشعر، حتّىٰ وصل مرحلة متقدّمة، وقصائده التي نظمها تشهد علىٰ قوّة شاعريته، إلّا أنّه توقّف عن نظم الشعر ليتفرّغ للزعامة الدينية بعدما وصل مرحلة الاجتهاد، فقد ذكر في مقدّمة ما جمعه من شعره الذي سمّاه بـ: (**الحسن من شعر الحسين**) قوله: «ولمّا تكمّل نصيبي منه وأستتمّ- أي الشعر - قطعت علائقي منه، وجرتها لما هو منه أهمّ، وقلت لنفسي: هذا أوان الحرب فأشتدّي زيم[1]، لست براعي إبلٍ ولا غنم، العلم خير مستعاد يغتنم»[2] وعلىٰ الرغم من قلّة شعره المنشور، إلّا أنّه أخذ حيّزاً بين الأدباء، وأخذوا يذكرونه في محافلهم ومؤلّفاتهم، لأنّهم وجدو فيه قوّة الشاعرية وطول النفس الشعري، ومنهم **روفائيل بطي** فقد عدّه واحداً من روّاد الشعر العراقي الحديث، **والدكتور يوسف عزّ الدين** وربّما وجدوا أنّ أغلب أشعاره تندرج بما بات يعرف بالأدب الملتزم أو الموجّه، فقد سخّر الشيخ أغلب أشعاره لخدمة مذهب أهل البيتﷺ ورثاء رمز من رموزه ألا وهو الإمام الحسين (عليه السلام)، فضلاً عن قضايا الأمّة المصيريّة كقضية

---

(١) (هذا أوان الشدّ فاشتدّي زيم) مثل من أمثال العرب. وزيم أسم فرس.
ينظر: كتاب جمهرة الأمثال: ٢ / ٣٦٢.

(٢) الحسن من شعر الحسين. للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء. ديوان مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء العامّة في النجف الأشرف. تسلسل: ٣.

فلسطين وسواها من القضايا التي تهمّ الشعوب العربية ، فقد عرف عن الشيخ كثرة أسفاره في تلك البلدان ، وقد كان يحمل همّ هذه الشعوب المضطهدة ، وقد عبّر عن هذا الهمّ في بعض قصائده ، وهو ما لاحظه **الدكتور يوسف عز الدين** في قوله معلقا على قصيدته النونية :

«لقد كان أوضح أسلوباً وأسطع قصداً . . . فقد تجلّت في قصيدته روح العالم القائد الذي يشعر بالمسؤولية الملقاة على كاهله ، وتجلّت روح إسلامية أصلية عميقة تطالب بالكفاح والنضال والمساعدة السريعة للمسلمين ، وصوّر الحادث تصويراً يدفع كلّ مسلم إلى المشاركة العاجلة فيها ، لما فيها من تأنيب واستفزاز ونداء لإغاثة الإسلام الذي صمّ المسلمون آذانهم عن سماعه»[١] .

ونبّه الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء إلى قضيّة مهمّة لها علاقة بالشاعرية تتمثل في علاقة البيئة بالإنتاج الشعري وذلك في مقدّمة كتاب (**سحر بابل وسجع البلابل**) في حديث خاصّ عن الحلّة الفيحاء وبيئتها الغنّاء جاء فيه :

«أمّا حضارتها في الشعر ـ فحدّث ولا حرج ـ فإنّ لتربتها ومائها وهوائها تأثيراً عجيباً في تلطيف الشعور ، وتنشيط القرائح ، وتوسيع الخيال ، وتمكين الخفّة والأريحية . . . . وأعان على ذلك ما عرفت من حسن هوائها وطيب

---

(١) الشعر العراقي الحديث وأثر التيّارات السياسية والاجتماعية فيه : ٥٧ .

تربتها ومائها حتّىٰ أنّ الداخل إليها يحسّ بتغيير دفعي وانتقال فجائي»[١].

ولاشكّ في أنّ مثل هذا الحديث يندرج ضمن دوافع قول الشعر، وهو موضوع مهمّ لأنّ له علاقة مباشرة بالإبداع الشعري والعوامل التي تقف وراءه.

ومن الجدير بالذكر أن المتتبّع لشاعرية الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء يجد أنّه برع وأكثر من القول في غرض الرثاء دون غيره من الأغراض الشعرية وخاصّة في قصائده التي يرثي فيها سيد الشهداء عليه السلام: «فليس في الدنيا واقعة أليمة كواقعة كربلاء، التي هزّت العالم وأثّرت في النفوس، وأهاجت لوعة الشعراء منذ أكثر من ألف وثلاثمئة وستّين سنة، حيث كوّنت قصائدهم ومراثيهم ذلك الأدب النثر والشعر الفيّاض الذي ملأ مئات الدواوين والمجلّدات»[٢].

وتعدّىٰ اهتمام الشيخ بالشعر إلىٰ تضمينه في أغلب مؤلّفاته الأدبية ومنها (**العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية**)[٣].

ويبدوا أنّ للبيئة التي عاش فيها الشيخ تأثير علىٰ إنتاجه الأدبي، فقد كانت بيئة غنيّة تساعد علىٰ قول الشعر، نتيجة وجود حركة شعرية في ذلك الوقت، وقد كانت ثقافة الشيخ واطلاعه الواسع رافداً آخر من روافد الشعر.

---

(١) سحر بابل وسجع البلابل: ٥.

(٢) ينظر: أدب الطفّ أو شعراء الحسين (ع) / من القرن الأوّل الهجري حتّىٰ القرن الرابع عشر: ١ / ١٨، ٢١.

(٣) ينظر العبقات العنبريّة: ج١: ٣٢، ٤١، ٤٩، ٥١، ج٢: ١١، ٢٣، ٢٤، ٣٤.

المبحث الثالث

فن المقالة الأدبية

وهو فنّ آخر من الفنون الأدبية التي برع فيها الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، حتّىٰ عدّه الدارسون من روّاده ومنهم **الدكتور منير بكر** الذي رأىٰ أنّه: «مُنح قدرة المصلح، وموهبة الأديب، فاستطاع أن يتحرّىٰ الحقائق، ويستقصي الأدلّة والشواهد، وأن يلتزم بالحيدة والإنصاف في كلّ كلمة خطّها، والبعد عن التحيّز والهوىٰ في كلّ رأي جاهر به ودعا له، (فضلاً عن) ما يسبغه علىٰ تلك الموضوعات والآراء من الوحدة الموضوعية والصياغة الفنّية، فاستحقّ أن يكون بحقّ فقيهاً متحرّراً، وكاتباً مجيداً وصحفيّاً لامعاً»[1].

وذلك يدلّ علىٰ القدرة الفنّية والموهبة والطبع الذي امتاز به الشيخ رحمه الله، وتكشف أغلب مقالاته التي نشرت في المجلّات النجفيّة التي كانت تصدر آنذاك عن شخصيّته التي كانت تقف في صدارة هذا العصر، ولا عجب في هذا، لأنّ هذه الشخصيّة امتلكت مقوّمات العالمية في بعدها التفكيري الإنساني وأدبيّتها التي تجمع بين آليّات المنطق ومتطلّبات الإجادة الفنّية، تتجاوز الأفق المحلّي إلىٰ الآفاق العالمية إبداعاً وتلقّياً، ويشير **جعفر الخليلي** إلىٰ هذه الشهرة في قوله:

«ولعلّ أوّل باب فتح لشهرة الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء في

---

(١) هكذا عرفتهم: ٢٣٠.

خارج النجف كان عن طريق المراسلات التي جرت بينه وبين أمين الريحاني، تلك المراسلات التي تتضمّن تبادل آراء في ردود أعجبت جميع قرّاء العربية على اختلاف نحلهم، ثمّ جمعت وطبعت باسم (**المراجعات الريحانيّة**)»[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ لبيئة النجف الأثر الكبير في إنتاج الشيخ محمّد حسين الأدبي، فهي مدينة شهدت نهضة علمية وأدبية لم تشهدها المدن العراقية قاطبة، ولعلّ ازدهار الأدب فيها نتيجة منطقية لازدهار علوم الدين.

وقد قال الريحاني عن هذه المدينة: «ليست النجف عظيمة بطبيعتها ولا في مقدّساتها بل في رجالها»[٢].

وقد تطلّب كتابة المقالة عند الشيخ طاقات فنّية متنوّعة تتعلّق بالدقّة في اختيار الألفاظ وحسن تنميقها، وحلاوة تركيب الجمل وصياغة العبارات في تأليف المعاني، والموازنة بينها وبين الكلمات التي تعبّر عنها، إلى جانب توخّي الإمتاع الفنّي لنفس القارئ.

أمّا فيما يتعلّق بالبناء الفنّي للمقالة عند الشيخ فقد التزم بمنهج محدّد يتمثّل في البدء والعرض والخاتمة، وقد ضمّن هذا الأسلوب الكثير من المسائل الفنّية نحو التنويع الشعري، فقد كان يضمّن المقالة أبياتاً من الشعر، أغلب هذه الأبيات تشتمل على فنّ الحكمة وما يلائم سياق المقالة، فضلاً

---

(١) أساليب المقالة وتطوّرها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية: ٣٨٨.

(٢) العراق: ٢٢٤.

عن ظاهرة أخرىٰ هي الاقتباس والتضمين، فقد حرص الشيخ محمّد حسين علىٰ الاقتباس من القران الكريم، كما ضمّن مقالته بعض الأمثال والحكم.

أمّا الميزة الأخرىٰ لمقالاته تتمثّل بالإيجاز، فقد أظهر الكاتب مهارته الفنّية وثروته الفكرية من خلال عرضه للمسائل والقضايا التي يريد أن يوضّحها للمتلقّي، وقد مال الشيخ إلىٰ السهولة والوضوح والابتعاد عن التعقيد في أغلب مقالاته.

لعلّ أبرز سمات فنّ المقالة عند الإمام كاشف الغطاء هو قصرها، فهي عنده وحدة قائمة بذاتها، يعالج فيها موضوعاً محدّداً، ويلعب الخيال دوراً مهمّاً في مقالاته الأدبية، لأنّ هذا الخيال يساعد علىٰ ابتداع المعاني، بحيث ينسجها حول الخاطرة ويجلوها في أروع صورة، ومن ذلك مقالة الإمام التي تحمل عنوان (**العدل أساس الملك**) استهلّها بحديث نبويّ شريف هو «عدل ساعة في الحكم خير من عبادة سبعين سنة»[١].

لقد جعل الإمام كاشف الغطاء من عباراته والأفكار التي عرض لها في المقالة موجّهة لإبراز الفكرة الأساسية وإيضاحها، لذلك تجنّب الحشو والإطالة، وابتعد عن العبارات التي لا تؤدّي وظيفة جوهرية في إظهار القصد الذي يتوخّاه من مقالته.

ومن الجدير بالذكر أنّ عنوان المقالة له خطره[٢]، ومن المستحسن أن

---

(١) نشر هذا المقال في مجلّة العدل: ٣، العدد ١٩ ـ ٢٠، عام ١٣٨٦.

(٢) ينظر: النقد الأدبي: ٨٨.

يكون مما يثير الانتباه، وقد برع الإمام في وضع عناوين مقالاته واذكر منها: (**بين الهدىٰ والضلال أو التوحيد والإلحاد**)، و (**الشباب**)، و(**التضحية في ضاحية الطفّ**)، و(**علي فوق العبقريّات**)، و(**إلىٰ فلسطين**) و(**المولد النبويّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم**)، و(**الفردوس الأعلىٰ**) و(**موقف الحسين يوم الطفّ**)[١].

أي أنّ الإمام الراحل كان يهتمّ كثيراً بانتقاء عنوان المقالة التي يكتبها، ومن هنا جاءت عناوين مقالاته منسجمة تمام الانسجام مع المضمون.

ومن الباحثين من يرىٰ أنّ الدوافع وراء كتابة المقالة هو محاولة الكاتب تغيير الوضع نحو الأحسن، لذلك تكون نقمة الكاتب علىٰ الأوضاع الفاسدة سبباً أساسيّاً وراء صياغة المقالة[٢].

وقد لاحظ أكثر الدارسين لجهود الشيخ كاشف الغطاء إبداعه في هذا المجال فقد جاء في (**سلسلة رواد التقريب**) أنّ الإمام كاشف الغطاء برع في مجال النثر، حيث كان رحمه الله ذا بيان ساحر جذّاب وأسلوب مشرق وهّاج، يرسل الكلام في تعبير قويّ ولسان ذلق وفصاحة نادرة، حتّىٰ لتنقضي الساعات الطويلة علىٰ السامع وهو لا يحسبها سوىٰ دقائق قصيرة، وطالما كان يرقى المنابر في شتّىٰ المناسبات، فيملك القلوب بسحر بيانه، ويستولي

---

(١) نشرت هذه المقالات في مجلّة الاعتدال والغري والبيان والعدل.

(٢) ينظر أدب المقالة.

علىٰ العقول بحلاوة منطقه، وكان يصدح بخطاباته الرشيقة في أماكن شتّىٰ[١].

أمّا السمة الأخرىٰ التي اشتملت عليها مقالات الشيخ (رحمه الله) فتتمثّل بفنّ التضمين، وهي سمة فنّية امتازت بها أغلب مقالاته، وقد تنوّع التضمين عنده، فنجده تارة يستعين بالنصّ القرآني نحو قوله في مقالة كتبها مخاطباً الشباب جاء فيها:

«انهضوا نهضة شريفة تعيدون بها مجد أسلافكم، تعاشروا بعضكم مع بعض بروح الحنان والرحمة، والإخاء والمودّة... كونوا كأوائلكم أشدّاء علىٰ الكفّار رحماء بينهم»[٢].

فهو هنا يشير إلىٰ قوله تعالىٰ:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[٣].

أمّا فيما يتعلّق بتضمين الحديث النبويّ الشريف فقد أجاد الإمام أيّما إجادة في توظيف الحديث، فقد جاء في مقالة عنوانها (**علي فوق العبقريّات**)

---

(١) ينظر: سلسلة روّاد التقريب (الإمام كاشف الغطاء): ٨٧.

(٢) الشباب، مقالة منشورة في مجلّة الاعتدال. والآية ٢٩ من سورة الفتح.

(٣) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٩.

قوله:

«وقد قال رسول الله ﷺ فيه: (يا عليّ ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرَفنا إلّا الله)»[١].

أمّا الشعر فقد كان له حضوره في مقالات الشيخ، إذ استفاد من الأبيات التي تحمل مضموناً إنسانيّاً عالياً، ويغلب عليها طابع الحكمة، نحو قوله في مقالة عنوانها (**موقف الحسين يوم الطفّ**) جاء فيها:

«وعلىٰ كلّ فالمسلمون جميعاً بل والإسلام من ساعة قيامه إلىٰ قيام الساعة رهين شكر للحسين عليه السلام وأصحابه علىٰ ذلك الموقف الذي أقلّ ما يقال فيه:

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً إلىٰ الحشر لا يزداد إلّا معاليا»[٢].

---

(١) عليّ فوق العبقريّات: ٢، مقال منشور في مجلّة العدل، العدد ٢٤، شعبان ١٣٧٣هـ.

(٢) موقف الحسين يوم الطفّ: ٤٢٠، مقال منشور في مجلّة النشاط الثقافي، ١٣٧٨هـ.

المبحث الرابع

جهود الشيخ محمّد حسين رحمه الله النقديّة

وهناك سمة أخرىٰ حوتها مقالات الإمام الراحل وهي تطرّقها إلىٰ بعض القضايا النقدية، فهو يرىٰ أنّ النقد يحتاج إلىٰ درية وثقافة عالية كي يستطيع من خلالها أن يمحّص الأشياء ويخضعها لميزان النقد، ونجد هذا عنده في حديثه الخاصّ عن **الريحاني**، وقد نشره تباعاً في **جريدة النجف** التي كانت تصدر عام (١٩٢٦م) تحت عنوان (**الريحاني في ميزان النقد**) أو (**نظرة في كتابه ملوك العرب**)[١]، جاء فيه: «إنّ كاتباً كالريحاني يؤلّف سفراً ككتاب (**ملوك العرب**) يدخل فيه من باب إلىٰ باب وينتقل فيه من موضوع إلىٰ موضوع... وأهل العلم له بالمرصاد، يضعونه تحت مطرقة النقد، وفي بوتقة التمحيص، وعلىٰ معيار الاختبار»[٢].

فضلاً عن هذا ناقش الإمام كاشف الغطاء قضيّة التحريف وعدم الدقّة في النقل في مقالته المنشورة في جريدة النجف في قوله:

«إنّ الوهن في كتاب (**ملوك العرب**) تجاوز إلىٰ التشويه والمسخ والقلب والإبدال والتغيير والتحريف في كثير مما يستشهد من آية محكمة أو مثل

---

(١) ينظر جريدة النجف، تحرير يوسف رجيب ٢٨ ما يس ١٩٢٦م مقال للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء بعنوان (الريحاني في ميزان النقد).

(٢) مقال الريحاني في ميزان النقد، جريدة النجف: ١.

سائر أو بيت شعر شايع، فتراه يذكر الآية محرّفة مصحّفة، قد امتلخ بالتصحيف فصاحتها، ومسخ بالتحريف صورتها، وهبط بها من سماء سنائها إلىٰ حضيض ظلمائها، وهكذا قد يروي الشعر الفصيح الذي هو غاية في البلاغة والانسجام ممسوخاً منسوخاً قد اضطرب حتّىٰ وزنه وزهقت منه حتّىٰ روحه وتفسّخ حتّىٰ معناه ولفظه، وقد ينسب الشعر الشايع المشهور إلىٰ غير قائله ويعزوه إلىٰ غير أبيه»[1].

يتّضح لنا حرص الإمام علىٰ الأمانة في النقل وخاصّة مع النصوص القرآنية والحديث النبويّ الشريف، وتظهر لنا قدرة الإمام اللغوية والأدبية في نقد النصوص، فهو يرسم لنا طريقة الحوار في النقد البنّاء الذي يهدف إلىٰ إصلاح النصوص وتقويمها، وهذا النوع من النقد يصحّ أن نطلق عليه بالنقد البنّاء الهادف.

تنوّعت جهود الشيخ محمّد حسين النقدية، فقد عالج في مؤلّفاته مختلف أنواع القضايا النقدية، وقد انتشرت هذه القضايا في ثنايا مؤلّفاته الأدبية، ومنها كتاب (**مختار الأغاني**) الذي تعرّض فيه إلىٰ بعض الشعراء الذين ورد ذكرهم في موسوعة كتاب (**الأغاني**)، كما وأنّه اختار من شعر الشعراء ما يعطي القارئ صورة عن منزلته الشعرية ونواحي امتيازه فيه، لقد مارس الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء دور الناقد الواعي، بدءاً بقضيّة

---

(١) مقال الريحاني في ميزان النقد، جريدة النجف: ٢.

حذف السند واختصار النسب وذكر الأخبار المهمّة وحذف كلّ ما هو ماجن طلباً للإيجاز، فضلاً عن غربلة وتنقيح الأشعار والأخبار الواردة في الكتاب، فكان لا يدوّن إلّا القصيدة المستحسنة النظم، ومعياره في ذلك جودة حسّه وذوقه الرفيع المدرّب كونه أحد الشعراء الذين عرفوا مسالك الشعر، ومن ثمّ قام بعمليّة نقدية أخرىٰ تتعلّق بالمنهج الإسلامي الملتزم الذي كان يتّبعه في أغلب مؤلّفاته، فنجده يختار للشاعر الجيّد من شعره والذي يحمل عادة مضموناً إسلاميّاً هادفاً لا يتعارض وتعاليم الدين الإسلامي، حتّىٰ أنّه كان ينتقد علىٰ صاحب (**الأغاني**) إيراده للنوادر التافهة أو الماجنة، فهو يأخذ علىٰ الأصفهاني إيراده لنماذج من شعر أبو الأسود الدؤلي لم تكن بالقوّة الكافية في قوله: «ثمّ إنّ أبا الفرج ذكر جملة وافية من شعره ولكنّه ليس بتلك القوّة والمتانة، ونحن نذكر ما ننتخبه من أشعاره، وجميع ما أورده من شعره إنّما كان في وقايع خاصّة ولكنّه لا يخلو أكثره عن حكم وآداب من ذلك قوله:

وأهوج ملحاح تصاممت قبله إلىٰ سمعه وما بسمعي من باس»[1].

بعدها يعلّق الشيخ محمّد حسين علىٰ هذه القصيدة بقوله:

«وهذه الأبيات أكثرها في غاية التعقيد، وكذا أكثر شعره، وليته حين أخذ النحو عن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ منه علم المعاني والبيان حتّىٰ يفصح في بيان ما يريد»[2].

---

(١) مختار من شعراء الأغاني: ١١ ـ ١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٣.

إذاً الشيخ كان مع الشعر الواضح البيّن الذي لا يحتاج معه القارئ إلىٰ كدّ الذهن وإتعاب الخاطر، وأن يتجنّب التعقيد الذي تسبّبه استعمالات الشاعر لألفاظ مهجورة أو تراكيب غامضة معقّدة، والمسألة لها علاقة بطريقة تركيب الشاعر للجمل، ومدىٰ التزامه بالقواعد النحوية، وإشارة الناقد هنا إلىٰ أن يتسلّح الشاعر بالبلاغة العربية المتمثّلة بعلم المعاني والبيان، وأن يتّخذ الشاعر من طريقة وأسلوب الإمام عليّ عليه السلام منهجاً يحتذيه فيما ينظم من قصائد.

ويتّضح من هذا أنّ الشيخ عمل علىٰ إعادة إنتاج وإخراج كتاب (**الأغاني**) بروح نقديّة، فقد كثرت الملاحظات النقديّة والمؤاخذات من قبل الشيخ رحمه الله علىٰ صاحب (**الأغاني**).

ولا يخلو الكتاب النفيس للشيخ الإمام محمّد حسين كاشف الغطاء المسمّىٰ بـ: (**المراجعات الريحانية**) من وجود آراء نقدية، فقد كان النقد الأدبي عنده لون من ألوان الحوار، كما وللحوار والمناظرة أدب خاصّ، فضلاً عن النقد اللغوي الذي احتلّ حيّزاً لا بأس به، وقد تطرّق من خلاله إلىٰ مسائل لغويّة منها قضيّة الاشتراك اللفظي والترادف وتأثيره علىٰ تفسير وفهم النصّ، فقد ردّ الشيخ علىٰ الأب انستاس الكرملي عندما اتّهمه بأنّ آفة كلامه الإكثار والتفريط فقد ردّ عليه بأنّ هذا الاستعمال اللغوي ليس من التكرير أو الزيادة، إنّما هو محاكاة للكلام البليغ، وقد استشهد علىٰ ذلك بنصوص من القران الكريم والشعر العربي الفصيح.

ومن القضايا النقدية المهمّة التي تطرّق إليها الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء قضيّة اللفظ والمعنىٰ، محاولاً البحث عن سرّ الجمال في النصوص، هل يرجع إلىٰ اللفظ أم المعنىٰ، أم إلىٰ تآزر اللفظ مع المعنى وجودة صياغتهما، وهو الرأي الذي يميل إليه الشيخ، ويعتمد إلىٰ إثبات جودة النصّ من خلال تحليل أجزاء النصّ ومكوّناتها البنائية لكي يصل إلىٰ إثبات جودته، وخاصّة في معرض ردّه علىٰ بعض الرسائل التي تتّهم بعض الخطب بعدم الاعتدال، أو الإيجاز المخلّ أو ركاكة التركيب، قائلاً:

«أمّا الألفاظ فقد نظرنا كلّ واحد ممّا اشتملت عليه الخطبتان... نظرناها بالعين المجرّدة فلم نجد فيهما ولا لفظة واحدة خارجة عن حدّ الاعتدال، لا مرذولة سافلة، ولا وحشية نافرة، هذا من حيث مفردات الألفاظ، وأمّا من حيث الصياغة والتركيب فليس في شيء منهما إيجاز مخلّ أو إطناب مملّ، أو تقديم وتأخير موهم»[1].

ومن الجدير بالذكر أنّ الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء تأثّر بالتراث العربي القديم في مجال النقد، وربّما يعود السبب في ذلك إلىٰ ثقافته وتأثّره بالموروث العربي من أدب ونقد، فقد كان يحفظ الكثير من النصوص القديمة، ويتّضح هذا من كثرة استشهاداته بهذه النصوص والتي يعود بعضها إلىٰ أمراء البيان في العصر الجاهلي، أمثال أكثم وقس بن ساعدة الأيادي.

---

(١) المراجعات الريحانية: ٢ / ٤٣.

إذاً كثرت جهود الشيخ النقدية وتنوّعت وتعدّدت مصادره في النقد، وعلىٰ الرغم من هذا التنوّع والتعدّد، إلّا أنّ هناك خيطاً يجمعها هو أسلوب الشيخ في النقد، ومن أبرز ملامح هذا الأسلوب هو المنهج الذوقي، فقد امتلك حاسّة من الذوق المدرّب الذي استطاع من خلاله أن يميّز بين الجيّد والرديء في الأعمال التي تناولها بالدراسة والتحليل، ومنها نقوده الأدبية التي اشتمل عليها كتابه (**مختار من شعراء الأغاني**) ولا عجب في ذلك «فالإمام كاشف الغطاء أديب بأدقّ معاني كلمة الأدب، فقد كتب في جملة من الأنواع الأدبية، وبرع في أكثر من فنّ، وما خطبه وكتبه ومقالاته وكلماته إلّا دليل ذلك»[(١)].

لقد اختار الشيخ من شعره المختار ما يعطي القارئ فيه صورة عن منزلته الشعرية ونواحي امتيازه فيه، وهذه ناحية مهمّة في تقريب الإفهام من تلك العصور المشرقة... فإنّه ليس من المتيسّر علىٰ كلّ قارئ تناول تلك الموسوعات[(٢)].

أمّا عن المنهج المتّبع في هذا الكتاب فقد وضع خطوطه نجله الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء في قوله: «وقد انتهج سماحته في الاختصار الأمور التالية: حذف السند، واختصار النسب، وذكر الأخبار المهمّة، وحذف النوادر التافهة والماجنة، وانتخاب الجيّد من نظم الشاعر، وذكر أبياتاً قليلة من

---

(١) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف: ٢٢٧.

(٢) ينظر مقدّمة مختار من شعراء الأغاني: ٤.

القصائد المشهورة»[١].

لقد كان الشيخ يأخذ على **أبي الفرج الأصفهاني** اختياره لأشعار يرى أنّها ليست من القوّة والمنزلة الشعرية، ومن ذلك حديثه عن **أبي الأسود الدؤلي** في قوله:

«ثمّ إنّ أبا الفرج ذكر جملة وافية من شعره ولكنّه ليس بتلك القوة والمتانة، ونحن نذكر ما ننتخبه من أشعاره، وجميع ما أورده من شعره إنّما كان في وقايع خاصّة، ولكنّه لا يخلو أكثره عن حكم وآداب»[٢].

ومن ملامح النقد عند الشيخ ميله إلى الأسلوب الواضح، فقد كان الشيخ يرفض الشعر المعقّد والغامض، وذلك لأنّه يؤمن بقضية أنّ الشعر رسالة، ومطلوب منه أن يوصل هذه الرسالة إلى كافّة الطبقات، فهو مع الشعر الهادف والموجّه، لهذا نجده يستنكر على بعض الشعراء استعمال الأسلوب المعقّد، الذي يبعد الفكرة، ويكد الذهن، ويحتاج من المتلقّي أن يفسّر النصّ حتّى يصل إلى مراده، وقد ورد هذا في تعليقه على أبيات من الشعر اختارها صاحب **الأغاني** ومنها:

وَأَهوَجَ مِلجاجٍ تَصامَمتُ قيلَهُ ... أَن اسمَعَهُ وَما بِسَمعيَ مِن باسِ
وَلَو شِئتُ ما أَعرَضتُ حَتّىٰ أَصَبتُهُ ... عَلىٰ أَنفِهِ خَدباءَ تَعضِلُ بِالآسي
فَإِنَّ اِلسانَ لَيسَ أَهوَنُ وَقعِهِ ... بِأَصغَرَ آثاراً مِنَ النَحتِ بِالفاسِ
وَذي إِحنَةٍ لَم يُبدِها غَيرَ أَنَّهُ ... كَذي الخَبلِ تَأبىٰ نَفسُهُ غَيرَ وَسواسِ[٣]

---

(١) المنتخب من شعراء الأغاني: ٦.

(٢) المختار من شعراء الأغاني: ١٠.

(٣) مختار من شعراء الأغاني: ١١.

فقد علّق الشيخ كاشف الغطاء عليها بقوله:

«وهذه الأبيات أكثرها في غاية التعقيد، وكذا أكثر شعره، وليته حين أخذ النحو عن أمير المؤمنين عليه السلام أخذ منه علم المعاني والبيان حتّىٰ يفصح في بيان ما يريد»[١].

إذاً الشيخ لاحظ أنّ هذا الشعر يندرج ضمن شعر العلماء الذي يفتقر أحياناً إلىٰ الصورة الفنّية المؤثّرة، لهذا يؤكّد علىٰ مسألة مهمّة وهي أنّ الشاعر عليه أن يتقن فنّ البلاغة العربية، لأنّه من خلالها يستطيع أن ينتقي الصور الفنّية المؤثّرة التي تستند إلىٰ فنون البلاغة البيانية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية.

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام كاشف الغطاء تنبّه إلىٰ مسألة دقيقة تتعلّق بصحّة نسبة الأبيات الشعرية إلىٰ قائليها، وهي قضيّة مهمّة من قضايا النقد الأدبي، فعلىٰ الناقد أن يتأكّد من قائل الأبيات الشعرية قبل القيام بعملية النقد والدراسة لأي نصّ من النصوص، وهي تعدّ الخطوة الأولىٰ، وقد ورد هذا في حديثه عن الشاعر (**ديك الجنّ**)[٢] الذي ترجم له صاحب **الأغاني** واختار له من الأبيات قوله:

---

(١) المختار من شعراء الأغاني: ١٢. والأبيات منسوبة إلىٰ أبي الأسود الدؤلي، ينظر الديوان: ٩٦ وكتاب الأغاني: ٢ / ١٤٣.

(٢) ديك الجنّ لقب غلب عليه، واسمه عبد السلام، وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبي تمّام في شعره وهو من شعراء الدولة العبّاسية وكان من ساكني حمص، وكان يتشيّع تشيّعاً حسناً.

يـا طَـلْعَةً طَـلَعَ الحِـمَامُ عَـلَيها ... وجَـنَىٰ لَـها ثَـمَرَ الرَّدَىٰ بِـيَدَيْها
رَوّيْتُ مِنْ دَمِها الثّـرىٰ ولَـطَالَما ... رَوَّىٰ الهَوَىٰ شَفَتَيَّ مِـنْ شَـفَتَيْها
قَدْ باتَ سَيْفي في مَجَالِ وِشَاحِها ... ومَدَامِـعِي تَـجْرِي عـلىٰ خَـدَّيْها
فَوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وَطِئَ الحَصَىٰ ... شَـيء أَعَـزُّ عَـلَيَّ مِـنْ نَـعْلَيْها
مـا كـانَ قَـتْلِيها لأَنِّـي لَـمْ أَكُـنْ ... أَبكـي إذا سَـقَطَ الذُّبَـابُ عَـلَيْها
لكنْ ضَنَنْتُ علىٰ العيونِ بِحُسْنِها ... وأَنِفْتُ مِنْ نَظَرِ الحَسُود إِليـها[1]

فقد علّق عليها الإمام كاشف الغطاء بقوله:

«وذكر أبو الفرج هنا أنّ هذا الأبيات تروىٰ لغير **ديك الجنّ** وذكر قصّة لها... أقول: ولكن الأبيات المتقدّمة إلىٰ شعر **ديك الجـنّ** أقرب، وهـي بأسلوبه ألصق وأنسب، كما تشهد بذلك بقيّة مراثيه مثل قوله:

أَشْفَقْتُ أَنْ يَـرِدَ الزَّمـانُ بِـغَدرِهِ ... أَوْ أُبْـتَلىٰ بَـعْدَ الوِصَـالِ بَـهَجْرِهِ
قَمَرٌ أَنا اسْـتَخْرجْـتُهُ مِـنْ دَجْـنِهِ ... لِـبَلِيّتي وجَـلَوْتُهُ مِـنْ خِـدْرِهِ
فـــقتلتُهُ ولَـــهُ عَـلَيَّ كَـرامَـةٌ ... مِـلء الحَشا ولهُ الفُـؤادُ بأَسْـرِهِ
عَـهْدِي بِـهِ مَـيْتاً كأَحْسَـنِ نـائمٍ ... والحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرَتي في نَحْرِهِ
لَوْ كانَ يَدري الميْتُ ماذا بَـعْدَهُ ... بـالحيِّ حَـلَّ بَكَـىٰ لهُ فـي قَـبْرِهِ
غُصَصٌ تكادُ تغيظ مِـنها نَـفْسُهُ ... وتكادُ تُخْرِجُ قَلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ»[2]

---

(١) الأبيات في الديوان: ١٦٦، والمختار من شعراء الأغاني: ١٥٨، والأغاني: ٤ / ٢٢٣.

(٢) مختار من شعراء الأغاني: ١٥٩.

نلاحظ أنّ الإمام محمّد حسين رحمه الله يلجأ إلىٰ خبرته ومعرفته الفنّية بأسلوب الشاعر **ديك الجنّ** ليحكم علىٰ نسبة الأبيات إليه وليس إلىٰ غيره كما رأىٰ الأصفهاني، أي أنّ لكلّ شاعر أسلوب خاصّ به، وقد كان المعيار هنا هو الاحتكام إلىٰ طريقة الشاعر في الرثاء واستعماله للمفردة الشعرية، كلّ هذه القرائن مكّنت من الحكم علىٰ الأبيات الشعرية التي مرّ ذكرها.

أمّا عن النقد الذوقي فقد كثر عنده، ومن أمثلة ذلك حديثه عن الأبيات الجيّدة عند الشاعر **ديك الجنّ** في قوله:

«ومن جيّد شعره قوله من قصيدة طويلة يرثي بها **جعفر بن علي الهاشمي**:

علىٰ هذهِ كانتْ تَدورُ النّوائِبُ	وفي كُلِّ جَمْعٍ للذَّهَابِ مَذَاهِبُ
نَزَلْنَا علىٰ حُكْمِ الزَّمانِ وأَمرِهِ	وهل يَقْبَلُ النَّصْفَ الألَدُّ المُشَاغِبُ
وتَضحكُ سِنُّ المرْءِ والقلبُ مُوجَعٌ	ويرضىٰ الفَتَىٰ عن دَهْرِهِ وهوَ عاتِبُ
أَلاَ أَيُّها الرُّكْبانُ والرَّدُ واجبٌ	قِفُوا حَدِّثُونا ما تَقُولُ النّوادِبُ
إلىٰ أَيِّ فِتْيانِ النّدىٰ قَصَدَ الرَّدىٰ	وأَيُّهُمُ نابَتْ حِمَاهُ النّوائِبُ
فيَا لأَبي العَبّاسِ كَمْ رُدَّ راغبٌ	لِفَقْدِكَ مَلهوفاً وكَمْ جُبَّ غَارِبُ»[1]

(١) المختار من شعراء الأغاني: ١٦٢ ـ ١٦٣. وقد لاحظ بعض الباحثين وجود ظاهرة النقد الذوقي في نتاج الشيخ في قوله: «الذوق الرفيع السليم ودقّة الحسّ، ولا بدّ أن يكون متوقّد الفكر، ثاقب الرأي والبصيرة، وحنكته الحياة، ويمتلك ثقافة فنّية واسعة

علىٰ الرغم من عدم ذكر السبب الذي يقف وراء اختيار الشيخ لهذه القصيدة إلّا أنّ كلّ صاحب ذوق يدرك جيّداً القيمة الفنّية التي تشتمل عليها، بدءاً من التصوير الفنّي إلىٰ العبارات الشعرية التي تتناسب والغرض الشعري في انسجام تامّ، فضلاً عن المعاني الشريفة التي ضمّنها الشاعر قصيدته.

ويبدو أنّ الشيخ محمّد حسين كان يميل إلىٰ الشعر الرقيق دون غيره من الأغراض الشعرية، ويكشف عن هذا تعليقاته النقدية التي تناثرت في مختاراته من كتاب **الأغاني** جاء هذا في حديثه عن الشاعر **قيس بن ذريح**:

«وله أشعار كثيرة أغلبها يشتمل من الرقّة علىٰ ما يقطع قلب الصخر، ويحقّ لو بكت **الخنساء** به علىٰ قائلها وعلىٰ **صخر**، فمن مشجياته قوله:

إذا خَدِرَت رِجلي تَذَكَّرتُ مَن لَها ... فَنادَيتُ لُبنىٰ بِاسِمِها وَدَعَوتُ
دَعَوتُ الَّتي لَو أَنَّ نَفسي تُطيعُني ... لَفارَقتُها مِن حُبِّها وَقَضَيتُ
بَرَت نَبلَها لِلصيدِ لُبنىٰ وَرَيَّشَت ... وَرَيَّشتُ أُخرىٰ مِثلُها وَبَرَيتُ
فَلَمّا رَمَتني أَقصَدَتني بِسَهمِها ... وَأَخطَأَتُها بِالسَهمِ حينَ رَميتُ
وَفارَقتُ لُبنىٰ ضَلَّةً فَكَأَنَّني ... قُرِنتَ إِلى العُيّوقِ ثُمَّ هَوَيْتُ
فَيا لَيتَ أَنّي مِتُّ قَبلَ فِراقِها ... وَهَل تَرجِعَن فَوتَ القَضِيَّةِ لَيتُ»[1].

في أنواع الفنون وطبيعتها وخاصّة إيقاع الأصوات ودلالاتها وسرّ البناء وحقيقته، فيهتمّ ببناء النصّ والمضمون في وحدة واحدة، من دون ميل لكفّة أو أخرىٰ، فيعتمد المنهج الفنّي في النقد» ينظر المنهج النقدي للإمام كاشف الغطاء في (مراجعاته الريحانية): ٣٠٦.

(١) مختار من شعراء الأغاني: ٢٤، والأبيات في الديوان.

وحديث الإمام هنا يتعلّق بقضيّة الصدق الفنّي في الشعر، فهو قد لاحظ أنّ الأبيات قد امتازت بأنّها أشدّ إرهافاً وتأثيراً في المتلقّي نتيجة قوّة الانفعال وعمقه، وأنّ الشاعر امتلك القدرة علىٰ نقل عاطفته في نوع من الأداء يثير الإحساس والمشاعر الوجدانية، ومن ثمّ حقّق الخاصّية الفنّية في الأداء، وهي سمة يشترك فيها الشعراء المبدعون أمثال **قيس بن ذريح**، ومن الباحثين من يرىٰ أنّ «السبب هو أنّ الفنّ لا يقتصر علىٰ علاج مشاكل وقتية، أو قضاء مصالح جزئية في هذا الجانب أو ذاك من حياتنا ،بل هو يتناول هذه الحياة نفسها، فينفذ إلىٰ صميمها ويضرب أعمق جذورها، وهو يزيدنا فهماً للحياة الإنسانية نفسها، إذ يتعمّق عواطفنا فيها، وردّ فعلنا علىٰ تجاربنا فوق ظهر هذه الأرض»[1].

(١) محاضرات في عنصر الصدق في الأدب: ٢٠.

المبحث الخامس

ملامح الالتزام في أدب الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

مرّت كلمة الأدب بمراحل متعدّدة، وذهب بعض الباحثين إلىٰ أنّ هذه الكلمة من الكلمات التي تطوّر معناها بتطوّر حياة الأمّة العربية وانتقالها من دور البداوة إلىٰ أدوار الحضارة، وقد اختلفت عليها معان متقاربة حتّىٰ أخذت معناها الذي يتبادر إلىٰ أذهاننا اليوم، وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القرّاء والسامعين، سواء أكان شعراً أم نثراً[1].

وهذا الوصف ينطبق علىٰ ما تركه الشيخ (رحمه الله) من أدب امتاز فنّه بمتعة جاذبة وتأثير كبير نتيجة سحر البيان الذي اشتمل عليه، إلّا أنّ هذا الأدب اشتمل علىٰ فوائد عظيمة، لأنّه كان يؤدّي وظائف، منها تهذيب النفوس وتعليم المتلقّي، خاصّة وأنّ الشيخ يعرف تأثيره في حياة الناس، وذلك من خلال تذوّقهم الفطري لسحر الأدب وجمال المعاني.

لقد كان الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء يسعىٰ إلىٰ أن ينبّه الأمّة إلىٰ ضرورة استكمال فكر النهضة الإسلامية في الجانب الأدبي والثقافي، واثبات شمولية الإسلام، وأنّه صالح لكلّ عصر وزمان.

فالأدب بطبيعته نشاط إنساني متميّز يرتبط بشكل من الأشكال بطبيعة

---

(١) ينظر تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف: ٣. وينظر: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، الرياض، ١٩٨٥م.

تكوين الأديب : النفسي والفكري والتأريخي ، ويهتمّ بالعلاقات المختلفة بين الأديب وموروثه الثقافي من جهة والخطوط الرئيسة التي تحكم عصره وتشكّل ظواهره العامّة من جهة أخرىٰ[١] .

وقد لاحظ أغلب الباحثين أنّ الدين كان رافداً من روافد الشعر في ذلك الوقت ، وأنّ الالتزام في معناه الأدبي هو اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معيّنة عن الإنسان لا لمجرّد تسلية غرضها الوحيد المتعة بالجمال[٢] .

والملتزم هو الذي يتّخذ موقفاً في النزعات السياسية والاجتماعية معبّراً عن أيدلوجية طبقة ما أو نزعة كأن تكون دينية تخدم الدين أو المذهب الذي يعتنقه الأديب الملتزم[٣] .

لقد كان الشيخ رحمه الله من الأدباء الملتزمين بالعقيدة والأخلاق ، وهو يرىٰ أنّ الأديب المسلم عليه أن يلتزم بالمبادئ الإسلامية ، وعليه أن يضع في اعتباره ضرورة أن يكون أديباً مسلماً حقيقيّاً من جانب ، وأنّه يعيش في مجتمع مسلم لابدّ من مراعاة قيمه الأساسية من جانب آخر ، ولهذا ترجم هذه الفكرة في أغلب مؤلّفاته التي وصلت إلينا ومنها كتابه (**العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية**) فقد كان يحرص علىٰ اختيار الأبيات التي تحمل مضموناً إسلاميّاً فيه دعوة إلىٰ الإصلاح ومحبّة الله عز وجلّ ، ومن ذلك ما اختاره

---

(١) ينظر : تطوّر الشعر العربي الحديث في العراق : ١٥ .

(٢) ينظر : في الأدب الإسلامي (قضاياه وفنون ونماذج منه) : ٧٥ .

(٣) ينظر المصدر السابق ، والالتزام الإسلامي في الشعر : ٢٧ .

للشيخ **خضر بن يحيىٰ** فقد كان فقيهاً متبتّلاً وزاهداً، فقد قال عنه أنّه «كان يتضلّع بعبادة ربّه، ويشتاق السكون إلىٰ رحمته وقربه، ويبرّئ قلبه من الذنوب، ويمحو عن صحيفة نفسه درن العيوب، مشتاقاً إلىٰ رحمة مولاه، طالباً الفوز برضاه قائلاً:

طوبىٰ لمن طيّب أوقاته ... إذا نأىٰ عنكم بمعناكم

وإن نأت عن داركم داره ... داوىٰ الحشىٰ منكم بذكراكم

وقوله:

أكملت في ذا العام ستّين سنة ... مرّت وما كأنّها إلّا سنة

لم تدّخر فيها سوىٰ توحيده ... وغير حسن الظنّ فيه حسنه

ما حال من لم يتّعظ بزاجر ... وفي مراعي اللهو أرخىٰ رسنه

وإنّما الناس نيام من يمت ... منهم أزال الموت عنه وسنه»[1].

وتركيز الشيخ رحمه الله علىٰ انتقاء الأشعار التي تتلاءم ومنهجه في التوجيه والإرشاد، لأنّه يرىٰ أنّ الدين الإسلامي عقيدة راسخة هدفها سعادة الناس في الدارين، وحلّ مشاكلهم وتوجيههم لكلّ خير، وإذا كان شأن الأديب الملتزم «أن يكشف كلّ هذه الخيرات وينقلها إلىٰ الآخرين»[2]، فإنّه ينطلق من عقيدته ـ وحتماً كانت عقيدة إسلامية ـ لذلك راح يحارب الواقع

---

(١) العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة: ١ / ٣٩.

(٢) ينظر: مجلّة أضواء إسلامية، مقالة بعنوان: حول الأدب الإسلامي الملتزم، العدد الأوّل: ٣٠، ١٩٦٤م.

غير المرضي محاولاً حثّ النفوس علىٰ طلب المعالي والدفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ، لهذا نراه يختار نماذج من الشعر الرفيع تعود للشاعر **سيّد حيدر الحلّي** في قوله :

«منها ما كتبه إمام الشعراء في زمانه ، وزين الشرفاء من أقرانه ، الشاعر المشهور ذو الفضل الأشهر ، سيّدنا **السيّد حيدر الحلّي** المعروف ، من أبيات كثيرة المحاسن ، وكأنّه لم يعثر عليها جامع ديوانه فيرسمها في معجزات فرقانه ، أو لسرّ آخر وهي :

وقائلة أين تبغي بها ... رويداً أخا المطلب النازحِ
أرح فلقد غاض ماء السماح ... فلا ريّ غادٍ ولا رائحِ
فقلت سأطرح ثقل الرجاء ... لدىٰ صفوة الشرفِ الواضحِ
ثوت من مهديها المكرمات ... وقامت مع الخلف الصّالح»[1] .

إذاً الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء يرىٰ أنّ هذا النوع من الأدب يتيح قدراً كبيراً من الحرّية والمرونة للأديب كي يعبّر عن خلجاته وأشواقه في إطار التزامه بالفكرة الإسلامية .

لقد سعىٰ الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء إلىٰ بلورة فكرة الالتزام في

---

(١) العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة : ٢ / ٩٠ وينظر عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق تحقيق حسن العلمي ج٢ ، ص١٢ . ومن الجدير بالذكر أنّ قضيّة رثاء الإمام الحسين عليه السلام اشتهرت عند الشعراء حتّىٰ صاروا يتسابقون فيها حتّىٰ أصبحت مهمّة من مهمّات الشعراء ، ولغرض الوقوف علىٰ المزيد ينظر : تطوّر الشعر العربي في العراق : ٤٣ .

بقيّة أعماله الأدبية والثقافية، وأراد تطبيقها وخاصّة في المقالات الموجّهة التي كتبها، حتّىٰ قال عنه الأستاذ **عبد الحسن الغراوي**: «لقد تقدّم العلّامة كاشف الغطاء خدمات طائلة وأيادي جلّىٰ يشكرها له العلم والأدب، ونحن إذا ما استعرضنا خدمات الشيخ في كلّ فنّ وباب فلا نكاد نحصيها بالإحاطة الشاملة، بل ولا نعطيها حقّها من البحث والكتابة، حيث تجاوزت حدّ الإحصاء، ونأت عن العدّ والحساب»[1].

والمعروف أنّ المقالة نوع من الأنواع الأدبية التي يعبّر بها الأديب عن حالة من حالات مشاعره وعواطفه نثراً وبصفحات قليلة، وأنّه في هذه الصفحات أشبه بالشاعر الوجداني، وأنّ مقالته أقرب إلىٰ القصيدة، فأنت تحسّ تأثّره وتألّمه، وأنّه ينقل إليك هذا التأثّر وهذا التألّم وما يصاحبهما من أفكار ونظرات وتأمّلات.

لقد كان الشيخ يحمل همّ العراق بين جنباته، فقد كان يطمح أن يصل أبناء العراق إلىٰ مستوىٰ من الرقي الاجتماعي، لهذا نجده وفي مقالة أخرىٰ عنوانها (**نهضة العراق الاجتماعية**) يتحدّث عن نهضة العراق الاجتماعية قائلا: «هو موضوع جدير بالبحث والعناية، فإنّ التقدّم العمراني والاقتصادي لا يثمر الثمر الجنيّ النافع، ولا يعطي الغاية المتوخّاة إذا لم يصحبه الإصلاح الاجتماعي، فيسير الرقي المادّي للبلاد مع الرقي المعنوي والنفسي لأبنائها

---

(١) العلّامة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء ومقامه في التوجيه: مقال منشور في مجلّة العرفان العدد ٩، ص ٩٥٨، لبنان ١٣٦٨هـ.

جنباً إلىٰ جنب، وقد تطرّقت لهذه المواضيع مفصّلاً غير مرّة في أكثر خطبي ومؤلّفاتي، ولازالت هي دعواي وإليها دعوتي»[١].

ومن الجدير بالذكر أنّ دعوة الإمام كاشف الغطاء لم تقتصر علىٰ العراق إنّما تعدّته لتصبح دعوات إقليمية للدول العربية، ومن هنا جاءت كلماته في المقالة التي يتحدّث فيها عن وضع العراق الراهن ووحدة الدول العربية، فهو يرىٰ أنّ الوحدة سبب النهضة والانتعاش، فالقصد علىٰ حدّ قول الشيخ هو: «تبليغ دعوتنا الصارخة إلىٰ إخواننا العرب بل وعامّة المسلمين لا في العراق فحسب بل في عامّة أقطار الأرض، أنّ هذا هو يوم الوحدة المنشودة والضالّة المفقودة»[٢].

ومن ملامح الالتزام في أدب المقالة عند الشيخ أنّه كان يوظّف أبياتاً من الشعر، أغلب هذه الأبيات تدخل ضمن الأبيات الملتزمة، ومنها حديثه عن فلسطين وما أصابها من نكبة في قوله: «وكنت لا أزال أتمثّل في خطبتي وفتاواي في فاجعة فلسطين الدامية من مقاطيعي القديمة وهو:

ألا هزّة في الكون يعصف ريحها فنترك أرض الظالمين بوارا»[٣].

لقد كانت مقالات الشيخ طافحة بمعاني الوفاء والنبل، ومنها مقالته التي يتحدّث فيها عن الإمام علي عليه السلام وقد حملت عنوان «**علي فوق العبقريات**»،

---

(١) نهضة العراق الاجتماعية، مقال منشور في مجلّة الهاتف، النجف الأشرف.

(٢) مقال للشيخ محمّد حسين يتحدّث فيه عن وضع العراق، مجلّة الغري: ١١٦٩، العدد ٦٨، النجف، ١٣٦٠هـ.

(٣) المصدر نفسه.

فقد اشتملت هذه المقالة علىٰ معاني شريفة ومنها قوله:

«أمّا الكتابة عن شخصيّة كعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي لا تعدّ مناقبه، ولا تحصىٰ فضائله، بل لو أراد الكاتب مهما كان أن يكتب في كلّ واحدة من زواياه وخصائصه مؤلّفاً ضخماً لما استطاع أن يوفّيها حقّها ويستوفي جميع خصوصيّاتها، انظر مثلاً إلىٰ ذلك شجاعته، ومواقفه في سبيل الدعوة إلىٰ الإسلام، وتضحياته العظمىٰ وهو ابن عشرين أو دونها»[1].

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أودُّ أن أسجّل بعض النتائج التي توصّل إليها البحث وأذكر منها:

١ ـ أظهر البحث أنّ الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء تنبّه إلىٰ أنّ للخطابة دوراً هامّاً في حركة الكلمة في العقل والقلب وفي الواقع من خلال تأثيرها الإيجابي علىٰ قناعات الناس في مختلف جوانب الحياة، لهذا راح الإمام يوظّف هذا الفنّ خدمة للقضايا المصيرية التي تهمّ المجتمع كونه من المصلحين الكبار الذين قلّ نوعهم.

٢ ـ بيّن البحث قدرة الشيخ الفنّية علىٰ توظيف السمات الفنّية في أدبه، ومنها طريقته في البدء والعرض والختام، فضلاً عن التنويع بين الشعر والنثر،

---

(١) عليّ فوق العبقريّات: ٢، مقال منشور في مجلّة العدل، العدد٢٤ الجزء ٣، ١٣٧٣هـ.

وإجادته في كلّ منهما، من خلال الاستفادة من تقنيّة الاقتباس والتضمين بين ثنايا ما يكتب، وهذا يدلّ على كثرة خزينه الثقافي ممّا يمكّنه من الاستفادة منه في المواضع الملائمة.

٣ ـ كشف البحث عن سمة فنّية لازمت أغلب نتاج الشيخ الأدبي والنقدي تتمثّل في ميله إلى فنّ الإيجاز في أغلب كتاباته الفنّية، ومردّ ذلك يعود إلى مهارة الشيخ الفنّية وثروته الفكرية والثقافية.

٤ ـ أثبت الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاءﷺ ومن خلال مؤلّفاته الأدبية والنقدية، امتلاكه زمام الخطابة والشعر، فعنده الخطيب والشاعر صنوان لا يفترقان في قوّة الحسّ وجيشان العاطفة وسرعة البديهة وقوّة التصوير، ومن ثمّ هو يشرك السامعين معه في عاطفته، بلسانه وقلمه.

٥ ـ شخّص البحث ظاهرة الالتزام في أدب الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، فقد كان أدبه ينطلق من رؤية أخلاقية تبرز مصداقيته في الالتزام بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة والشريعة والقيم وتعاليم الإسلام ومقاصده.

وأخيراً آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المصادر

القران الكريم .

١ ـ **الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث** : أنيس الخوري المقدسي ، الطبعة الاولىٰ ، منشورات كلّية العلوم والآداب ، جامعة بيروت الأمريكية ، (د .ت) .

٢ ـ **أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأوّل الهجري حتّىٰ القرن الرابع عشر** : جواد شبّر ، ط ١ ، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م .

٣ ـ **أدب المقالة** : زكي نجيب ، الطبعة الأولىٰ ، القاهرة .

٤ ـ **أساطين المرجعيّة العليا في النجف الأشرف** : الدكتور محمّد حسين علي الصغير ، مؤسّسة البلاغ ، دار سلوني .

٥ ـ **أساليب المقالة وتطوّرها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية** : د . منير بكر التكريتي ، ط ١ ، مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٧٦م .

٦ ـ **الأغاني** : لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) تحقيق : الدكتور يوسف البقاعي ، وغريد الشيخ ، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .

٧ ـ **الالتزام الإسلامي في الشعر** : د . عبد الرحمن ناصر الخنين ، دار الأصالة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .

٨ ـ **تاريخ الأدب العربي** : أحمد حسن الزيّات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٢٥ ، (د .ت) .

٩ ـ **تطوّر الشعر العربي الحديث في العراق** : د . علي عبّاس علوان ، منشورات وزارة الإعلام ـ الجمهورية العراقية . سلسلة الكتب الحديثة (٩١) سنة ١٩٧٥م .

١٠ ـ **جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري** : (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٨م .

١١ ـ **ديوان ديك الجنّ الحمصي** : تحقيق : عبد المعين الملوحىٰ ومحيي الدين الدرويشي ، حمص ، ١٩٦٠ .

١٢ ـ **الريحاني في ميزان النقد** : مقال للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء ، منشور في جريدة النجف ، ٢٨ مايس ١٩٢٦م .

١٣ ـ **سحر بابل وسجع البلابل** : السيّد جعفر الحلّي ، تحقيق : الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء ، الطبعة الأولىٰ ، دار الأضواء ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٣م .

١٤ ـ **سلسلة روّاد التقريب (الإمام كاشف الغطاء)** : محمّد جاسم الساعدي ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، إيران ، طهران ، ٢٠٠٧م .

١٥ ـ **الشعر العراقي الحديث وأثر التيّارات السياسية والاجتماعية فيه** .

١٦ ـ **العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة** : العلّامة الكبير الإمام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء ، ج١ ، تحقيق : الدكتور جودت القزويني ، والجزء الثاني ، تحقيق : لجنة التحقيق في مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامّة ، النجف الأشرف ، ٢٠١١م .

١٧ ـ **عليّ فوق العبقريّات** : مقال منشور في مجلّة العدل ،العدد٢٤ الجزء ٣ ، ١٣٧٣هـ .

١٨ ـ في الأدب الإسلامي (قضاياه وفنون ونماذج منه): د. محمّد صالح الشنطي، دار الأندلس، حائل، ط٢، ١٤١٨هـ.

١٩ ـ محاضرات في عنصر الصدق في الأدب: الدكتور محمّد النويهي، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٩م.

٢٠ ـ المختار من شعراء الأغاني: سماحة الإمام الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، النجف الأشرف، ذي القعدة، ١٣٦٩هـ.

٢١ ـ المراجعات الريحانية: الإمام محمّد حسين كاشف الغطاء، تحقيق وتعليق: محمّد عبد الحكيم الصافي، الناشر: ذوي القربىٰ، إيران سنة (١٤٢٧هـ).

٢٢ ـ معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألف عام: محمّد هادي الأميني ط١ مطبعة الأداب، النجف، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

٢٣ ـ معجم مؤرّخي الشيعة: صائب عبد الحميد، الجزء الثاني، مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي.

٢٤ ـ النقد الأدبي: الدكتور علي جواد الطاهر، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٦٢م.

٢٥ ـ نهضة العراق الاجتماعية: مقال للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، منشور في مجلّة الهاتف، العدد ٢١٨، ٢٣ ربيع الثاني، ١٣٥٩هـ.